Ottoman- European correspondence during the reign of Sultan Suleiman the Magnificent (1520-1566) diplomatically

Dr. Aiman Sallat*
Dalia Shahoud**

(Received 18 / 8 / 2024. Accepted 16 / 1 / 2025)

□ ABSTRACT □

The research deals with one of the tools of diplomacy (correspondence) that took place between Sultan Suleiman the Magnificent 1520-1566 and the rulers of Europe, and it came as a result of important political events that occurred in the first half of the 16th century. From those conflicts and European ambitions, a series of delegations and letters flowed.
The Ottoman-European correspondence reflected the diplomatic form in which the Sultan and his men dealt with the rulers of Europe. On the one hand, it exposed the true intentions of European policy and its goals, and on the other hand, it was considered one of the most important means that showed the Ottoman Sultan's response in all frankness to requests that affected his rights or questioned his abilities. For the Europeans, these diplomatic correspondence represented another way to acquire the throne and lands, away from initiating direct military actions.

Key words: Diplomacy, Europe , correspondence, Suleiman the Magnificent, Istanbul.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Professor- Department of History- collage of Arts and Humanities- Tishreen University- Lattakia- Syria.**
** **Postgraduate student (PhD) - Modern and contemporary specialization- Department of History- collage of Arts and Humanities- Tishreen University- Lattakia- Syria.**

المراسلات العثمانيّة- الأوروبيّة
في عهد السلطان سليمان القانوني (1520-1566) دبلوماسيّاً

د. أيمن صلاّط*

داليا شحّود**

(تاريخ الإيداع 18 / 8 / 2024. قبل للنشر في 16 / 1 / 2024)

□ ملخّص □

يتناول البحث إحدى أدوات الدبلوماسية (المراسلات) التي جرت بين السلطان سليمان القانوني 1520-1566 و حكام أوروبا، وقد جاءت تبعاً لأحداث سياسية مهمة وقعت في النصف الأول من القرن 16.و انطلاقاً من تلك الصراعات و الأطماع الأوروبية تدفقت سلسلة من الوفود و الرسائل.

عكست المراسلات العثمانية _الأوروبية الشكل الدبلوماسي الذي تعاطى فيه السلطان و رجاله مع حكام أوروبا، فمن جهة فضحت النوايا الحقيقة للسياسة الأوروبية و أهدافها، و من جهة أخرى عُدّت من أهم الوسائل التي بينت رد السلطان العثماني بكل صراحة على طلبات تمسّ بحقوقه أو تشكك بقدراته. مثلت تلك المراسلات الدبلوماسية بالنسبة للأوروبيين السبيل الآخر للاستحواذ على العرش و الأراضي، بعيداً عن المبادرة بالأعمال العسكرية المباشرة.

الكلمات المفتاحية: الدبلوماسيّة، أوروبا، مراسلات، سليمان القانوني، استانبول.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* **أستاذ مساعد- قسم التاريخ- كليّة الآداب و العلوم الإنسانيّة- جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.**

** **طالبة دكتوراه- اختصاص حديث و معاصر- قسم التاريخ – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة- جامعة تشرين- اللاذقية- سورية.**

مقدمة:

وُجِدَت المراسلات الدبلوماسيّة بين الدول منذ القِدَم، لكن اختلف أسلوب التعامل و استقبال الوفود من دولة إلى أخرى، أمّا الدولة العثمانيّة التي تميّزت بالقوّة و العَظَمة في القرن السادس عشر فقد كان لها تعامل دبلوماسي قاسي مع حكام أوروبا. نشأت صراعات سياسيّة في أوروبا، و كانت المجر ساحة لأطماع الملوك و خاصة فرديناند الذي لم يكلّ و لم يملّ من إرسال وفود دبلوماسيّة و سفراء لإقناع السلطان سليمان القانوني بأحقيّته بملكيّة المجر و تتويجه على العرش من دون إعلان حروب جديدة.

على الرغم من أنّ سفراء أوروبا جاؤوا إلى السلطان سليمان يطلبون مساعدته كونه الأقوى و صاحب القدرات العسكريّة التي لا تقهر، لكنهم تعاملوا بأسلوب لا يخلو من الحنكة و الدهاء و أحياناً المكر في سبيل تحقيق مآربهم، و خاصة الوفود الفرنسيّة، و على أيّة حال كان لتلك المراسلات الدبلوماسيّة الأوروبيّة– العثمانيّة دور فعّال في تأخير الحروب أو التراجع عنها، و من جهة أخرى أظهرت شكل التعامل الدولي على الصعيد الدبلوماسي في عهد السلطان سليمان القانوني (1520–1566).

يطرح البحث عدّة تساؤلات، و يحاول الإجابة عن أهمّها:

– كيف كان شكل الدبلوماسيّة العثمانيّة في القرن السادس عشر ؟ و على أيّ أساس كان السلطان و رجاله يحقّرون الوفود الأوروبيّة ؟

– ما هي الوسائل التي اتبعها سفراء النمسا و فرنسا للوصول إلى أهدافهم السياسيّة من خلال المراسلات الدبلوماسيّة ؟

أهميّة البحث وأهدافه:

تظهر أهميّة البحث من خلال تناول القضايا السياسية الأوروبيّة– العثمانيّة لكن بشكلها الدبلوماسي، بالإضافة إلى معرفة القواعد الدبلوماسيّة في استانبول في فترة زمنيّة تشهد انتشار و توسّع عثماني حربي كبير، و يعود سبب الاختيار إلى قلّة الدراسات التي تبحث في أصول الدبلوماسيّة العثمانيّة (جانب المراسلات و الوفود) في النصف الأوّل من القرن السادس عشر.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى توضيح محتوى المراسلات العثمانية– الأوروبية و دلالاتها، و عرض مجموعة من السفارات الأوروبيّة القادمة إلى استانبول في فترة تاريخيّة _القرن السادس عشر– عُرِفَت بكثرة الحروب و الأعمال العسكريّة على الصعيد العثماني، كما يحاول البحث تفسير الأطماع و الخطط السياسيّة لحكام أوروبا من خلال مراسلاتهم.

منهجية البحث:

اعتمد البحث على المنهج التاريخي، الذي يقوم على جمع المصادر أوّلاً و التي دعمت جوانب مهمّة من البحث، بالإضافة إلى المراجع العربيّة و المترجمة، و القيام بتحليلها و تفسيرها لاستخلاص النتائج و الوصول إلى الحقيقة التاريخيّة.

النتائج والمناقشة:

أولاً: الدبلوماسية في عهد السلطان سليمان القانوني (1520-1566):

إنّ كلمة "الدبلوماسية" تعود بأصلها إلى اللّغة اليونانية القديمة والتي تعني الوثيقة المطوية الممنوحة من قبل الحكّام بشكل رسمي، وهي مشتقة من دبلوما Diploma، ومع تطور العصور في روما أخذت معنى يدلّ على الوثيقة التي تُسهّل العبور والسفر عبر أراضي الإمبراطورية ذات طابع رسمي وحكومي تصدر عن مجلس الشيوخ أو الإمبراطور، وفيما بعد اتسع معنى "الدبلوماسية" ليشمل مجمل العلاقات والمفاوضات السلميّة.[1]

خرج سفراء أوروبا عن قواعد التعامل الدولي في القرن 16، واستخدموا مهنة السفير أو الدبلوماسي لتحقيق مصالح وأهداف بعيدة كلياً عن السلم، كتدبير الثورات والمؤامرات، التحريض بين الأحزاب المتنافرة، التدخل في شؤون البلاد الموفدين إليها، مع ممارسات الكذب والرشوة والتجسس.[2]

إنّ قضية الدبلوماسية و مراسلاتها قديمة قِدَم العصور، وقد نشأت بين الأمم التي بحثت عن حياة أكثر استقراراً و أماناً، كما جاءت تلبيةً لحاجات التواصل والاحتكاك مع الشعوب الأخرى البعيدة منها والمجاورة، فاجتهد رجال السياسة والفكر بتنظيم الدبلوماسية ووضع قوانين خاصة بها.[3]

لعلّ أبرز العوامل التي جعلت إرسال البعثات لدولة أجنبية أمراً مستمراً بدون انقطاع هي مجموعة من المناسبات الاجتماعية، السياسية والاقتصادية التي تعتبر ذات أهمية أو تتضمن خطوة جديدة مُبشّرة بالأفضل للعلاقات بين الدولة التي تُرسل البعثة الدبلوماسية والدولة المستقبلة، على سبيل المثال عقد اتفاقية (سواء اقتصادية أو عسكرية)، إجراء مفاوضات لصلح بعد الحرب، المشاركة في احتفالات اجتماعية تخصّ أسرة الحاكم أو السلطان (كالزواج)، تبادل المراسلات والقرارات، تعزيز الصداقة، كما كان هناك مقصد من إرسال السفارات والوفود وهو إظهار السفارة المُرسلة بأبهى وأقوى منظر لتصبح محطّ لشدّ الانتباه وإثارة الإعجاب لدى الدولة المستقبلة،[4] على الرغم من ذلك لم تكن السفارات تُرسَل بشكل دائم ومنتظم في عهد السلطان سليمان القانوني.[5]

لابدّ من الإشارة إلى عام 1529 وهو عام حصار العثمانيين لفيينا، إذ كان هناك عامل مهم حثّ على تنشيط العمل الدبلوماسي ما بين الدولة العثمانية والغرب الأوروبي، وهو رغبة الطرف الأخير بإيقاف المدّ العثماني وتهديداته، مما أدّى إلى تشكيل تحالفات دولية جديدة وإعطاء أهمية لدور السفارات الأوروبية في التعامل مع السلطان العثماني.[6]

---

[1] **نجم، جمال، أحكام الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2008، ص65.**

[2] **خضور، بسام، دور الدبلوماسية في تعزيز العلاقات الدولية، مجلة جامعة تشرين، سورية، مج 42، العدد 6، 2020، ص3 .**

[3] **الزين، هايل، الأساس القانوني لمنح الحصانات والامتيازات الدبلوماسية، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2011، ص20.**

[4] **خداوي، محمد، مدخل إلى الدبلوماسية –الإطار القانوني و المؤسسي للنشاط الدبلوماسي، جامعة مولاي الطاهر سعيدة، الجزائر، 2020، ص 45 و 51 و 53.**

[5] **سليمان القانوني (1495-1566): الابن الوحيد للسلطان سليم الأول، في عهده بلغت الإمبراطورية أوجها، له العديد من الأعمال العسكرية الناجحة. البعلبكي، منير، معجم أعلام المورد – موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص242.**

[6] **نجم، جمال، أحكام الرسل والسفراء، مرجع سابق، ص85.**

كانت البندقية الرائدة في وضع قواعد عامة للمراسلات الدبلوماسية التي تشكل جزءاً أساسياً من كل حكومة سياسية حتّى قبل القرن 16، إذ زوّدت كل حكومة سفيرها بتعليمات وأتاحت الاطّلاع على رسائل أسلافه والتقارير التي توجهه، وهذا يدخل ضمن عملية إعداد السفير واستعداده قبل مغادرة بلاده، لكن على الرغم من هذا الاطّلاع وقراءة التعليمات والقواعد إلاّ أنّ التطبيق كان يتطلب بذل الكثير من الجهود.[7]

الجدير بالذكر أنّ الحصانة الدبلوماسية في القرن 16 اختلفت بشكل كبير بين البلاط الأوروبي واستانبول، بمعنى آخر وفّرت أوروبا حماية للسفير الذي يحمل تلك المراسلات، فإذا ثبتَ أنّ سفير أوروبي اشترك في جريمة ما فكان يتمّ طرده فوراً من البلاد المستقبلة، بينما العثمانيون مارسوا أساليب الذلّ والسجن والاستعداد للحرب، مع العلم أنّ السفير القادم إليهم كان يُمثل سيده الحاكم عند حضوره، وهذا يعني أنّ الأوّل يرتبط بشخص الثاني وليس بالبلاد المرسلة للبعثة.[8]

ثانياً: مراسلات ملك النمسا فرديناند 1529 م:

نشب صراع حاد بين جان زابوليا[9] Jean Zapolya والحاكم النمساوي فرديناند[10] Ferdinand (1526–1564) على عرش المجر، ونظراً لضعف موقف الأول وتخلي حلفاؤه عنه قرر طلب المساعدة من السلطان سليمان القانوني لتثبيته على العرش، فأرسل سفير يدعى جيروم لاشكي[11] Jerome Lasczky إلى استانبول في 27 كانون الثاني 1528، وبخطوة ذكية منه عقد أواصر الصداقة مع لويس غريتي[12] Louis Gritti

الرجل الدبلوماسي ذو العقل الراجح الذي يحظى بمكانة عالية في القصر الهمايوني وبتأثير كبير على الصدر الأعظم، وبالتالي سَهّل عمل السفير لاشكي فأصبحت طلباته أكثر استجابة، كما استُقبل الأخير باحترام، بالإضافة إلى ذلك فقد كان متحدثاً بارعاً، إذ ذكر أن سيده زابوليا لا يطمح إلى صداقة السلطان فحسب بل أيضاً إلى صداقة الرجل الذي كان له كل السلطة عليه، لكنه لم يسلم من الانتقادات اللاذعة التي تفوّه بها الوزراء أو حتّى أسلوب المخاطبة المليء بالتحقير والذلّ تجاهه وبشكل مباشر.[13]

---

[7] **Schefer, c. Mémoire Historique sur l'Ambassade de France A constantinople par le Marquis De Bonnac, Ernest Leroux, Paris,1893, P2 .**

[8] **بلاك، جيرمي، تاريخ الدبلوماسية، ترجمة: أحمد سالم، مشروع كلمة، أبو ظبي، 2013، ص101.**

[9] **جان زابوليا (1487 – 1540) : ينحدر من عائلة كرواتية غنية، كان لها سلطة ونفوذ، تركزت ممتلكاته شمال المجر وراثياً، كان قائداً عسكرياً في شبابه، تزوج من إيزابيلا ياغيلون، حكم المجر من 1526 – 1540.**

آخر تعديل بتاريخ 25 كانون الثاني 2023 التوقيت 17:50. ar.m./wikipedia.org/wiki

[10] **فرديناند الأول(1564 – 1503) :Ferdinand I ملك بوهيميا والمجر، يعدّ أحد أعظم ملوك آل هابسبورغ. كان هدفه إخراج العثمانيين من الأراضي العثمانية، عقد في عهده صلح أوغسبورغ عام 1555 بين الكاثوليك والبروتستانت. البعلبكي، منير، معجم أعلام المورد، مرجع سابق، ص320.**

[11] **جيروم لاشكي: مبعوث دبلوماسي مخضرم، عاش في النصف الأول من القرن 16، أصله بولندي، وصفه رجال السلطان سليمان بأنه يتحدث جيداً لكنه يتصرف بشكل سيء، اعتقل في قصر الصدر الأعظم بعد أن جرت مداولات حول معاقبته كقطع أنفه وأذنيه،**

Hammer ,J, Histoire de l'Empire Ottoman 1520-1547, vol 1, Paris, P328-327.

[12] **لويس غريتي : هو الابن غير الشرعي لحاكم البندقية أندريا غريتي، كان تاجراً ومستشاراً دبلوماسياً في الدولة العثمانية، عرف بأنه ذكياً طموحاً لا يمكن أن يحده شيء. قتل بعد عام 1530 على الأرجح.**

Hammer, J. Histoire de l'Empire Ottoman, Ibid, p104.

[13] **شيمشيرغيل، أحمد، تاريخ بني عثمان القانوني سلطان العالم، ترجمة: مهتاب محمد، ثقافة للنشر، الإمارات، 2017، ص79.**

فخاطبه أحد الوزراء بقسوة، قائلاً: " إذن جئت بدون هدايا لتطلب مساعدتنا، وليس صداقتنا، قل لي كيف يجرؤ سيدك على دخول الأراضي التي داسها جواد السلطان، يشترط قانوننا أنّ كل مكان يظهر فيه رأس حصان الباديشاه، يجب أن يخضع إلى الأبد لسيطرته. أتيت بلا جزية، ألا تعلم أنّ سيدنا فريد من نوعه مثل الشمس، وكيف تجرؤ على تسميته السلطان المجيد أبو أمير فقير مثلك!".[14]

أمّا الصدر الأعظم إبراهيم باشا[15] فخاطبه بعلو وتفاخر أيضاً، فيقول:

" دع سيدك يطلب مساعدة السلطان... لن نبيد فقط فرديناند بل جميع أصدقائه وسنقوم بتسوية جبالهم بأقدام خيولنا، بدون وساطة الدوج غريتي كُنّا سنقضي على قوة فرديناند وسيدك، الأتراك يتكلمون قليلاً ويتصرّفون كثيراً، أنت تتفاجأ بأنني أضحك، أضحك لأنّك جئت لتطالب ببلاد غزت بحدّ سيفنا، اعلم أنّ لدينا مخالب أفظع من الصقور، تذكر هذه الكلمات".[16]

على الرغم من تحمل السفير لاشكي هذا الأسلوب المتعجرف من رجال السلطان سليمان، إذ كانت تلك الخطابات الدبلوماسية عبارة عن تهديد و وعيد، وخصوصاً أنّ القضية التي جاء بها لاشكي تخصّ أمور سياسية بحتة، لكنه نجح في كسب موافقة السلطان سليمان بدعم سيده، وقد حصل على أربعة أثواب شرف ومائتي دوكة، وانتهت مهمّة سفارة زابوليا بإبرام معاهدة تحالف مجري – عثماني في 29 شباط 1528 م.[17]

إنّ سفارة زابوليا كانت سريّة لكن لوقت قصير فقط، إذ ما إن علم بها فرديناند حتّى بدأت مساعيه الدبلوماسية وسفاراته التي لم تتوقف الواحدة تلو الأخرى، لمنع خصمه من الفوز بعرش المجر وإضعافه بكل الوسائل الممكنة، لذلك أرسل سفارة غرضها عرقلة أهداف زابوليا وإبعاده عن الحكم، وهكذا تمّ اختيار جون هوبوردانسكي[18] Jhon Hobordonacz لهذه المهمّة وقد وصلت السفارة النمساوية استانبول في 29 أيار 1528 وتألّفت من أربعمائة فارس. تحمّس الصدر الأعظم إبراهيم باشا لمقابلة أعضاء السفارة.

كما أنّه رغب في الحصول على معلومات أكثر دقّة عن بلادهم وحاكمهم، مع معرفة نواياهم وسبب مجيئهم، وعلى طريقة الاستقبال العثمانية تمَّت المراسم مع مشاركة الانكشارية، وحضور الباشوات بزيّهم الرسمي. جرى اللقاء الأول مع الصدر الأعظم إبراهيم باشا، وبعد الملاطفة بالحديث والسؤال عن راحة الضيوف أثناء السفر، بدأ النقاش الجديّ حول المجر ودار الحوار التالي:

إبراهيم: ألم تعلم أن السلطان قد ذهب إلى بودا ؟[19]

هوبوردانسكي –بخشونة– : لقد ترك من العلامات ما يكفي لجعلنا نعلم أنه قد زارها.[20]

---

[14] **Hammer, J. Histoire de l'Empire ottoman, Ibid, p.106 .**

[15] **ابراهيم باشا (1494 – 1536): ابن لبحّار يوناني، تلقى تعليماً جيداً في طفولته، وعندما قابله السلطان سليمان أعجب به وعينه صدراً أعظم. كان لديه العديد من الأعداء داخل القصر لاسيما زوجة السلطان روكسلانة، دفن في غلاطة.**

Jenkins, H. IBRAHIM Pasha-Grand vizir of Suleiman the Magnificent, Columbia university, New York, 1911, P 18,19.

[16] **Hammer, J. Ibid, p.107.**

[17] **Hammer, J. Ibid, p.109 .**

[18] **جون هوبوردانسكي: سفير ألماني، عاصر السلطان سليمان القانوني، لم يتمتع بلياقة دبلوماسية عالية.**

Jenkins ,H. IBRAHIM Pasha, Ibid, P63.

[19] **بودا أو بودين: أيالة عثمانية في المجر، تشغل القسم الشمالي من مدينة بودابست الواقعة على نهر الدانوب. صابان ، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص67.**

[20] **لامب، هاورلد، سليمان القانوني سلطان الشرق العظيم، ترجمة: شكري نديم، شركة النبراس للنشر، القاهرة، 1951، ص133.**

إبراهيم: والقلعة، كيف كانت؟

هوبوردانسكي: كاملة وبدون ضرر.

إبراهيم: أتعرف لماذا؟

هوبوردانسكي: لأنّها كانت القلعة الملكيّة وكانت منعزلة عن المدينة.!

إبراهيم: كلّا، لأنّ السلطان رغب أن يحافظ على القلعة لاستعماله الخاص وسيحتفظ بها إن شاء الله.

هوبوردانسكي: نحن نعلم فكرة السلطان، ولكن حتّى الاسكندر الكبير لم يكن بوسعه تحقيق أفكار كهذه.

انزعج إبراهيم من هذا الردّ فسأل بشدّة:

هل تقول إذن أن بودا لا تعود إلى سليمان؟

هوبوردانسكي: لا يمكنني إلاّ أن أقول أن مَلكي يشغل بودا .

وبكل مرونة وهدوء طلب إبراهيم شرحاً عن شخصية فرديناند وقوّته،

فسأل:

لماذا تدعوه حكيماً ؟ ما تعني بالحكمة... ما الجرأة والشجاعة التي تجدها فيه؟ ما عندك لتقوله عن سيدك ؟

لكن هوبوردانسكي لم يكن نبيهاً ولا حتّى ناجحاً في أجوبته إذ لم يستطعْ أن يقدم صورة صحيحة عن سيده فرديناند، لكنه أشار إلى أنّه يتمتّع بأصدقاء يساندوه في الصعاب. فقال إبراهيم بكلّ ثقة:

إننا نعرف أنّ هؤلاء المشار إليهم بأنّهم جيران أصدقاء هم في الحقيقة أعداؤه.

ثمّ سأله وكأنّه غير مكترث:

هل أوفدت في حالة حرب أم سلم؟

وبجواب بسيط ردّ هوبوردانسكي:

إنّ فرديناند راغب في صداقة جميع جيرانه، ولا يريد عداوة أيّ منهم.

وبعد الحوار مع الصدر الأعظم، حضر السفيران النمساويان أمام السلطان سليمان القانوني حسب العادات والتقاليد، وكانت مطالبهم بشأن عقد هدنة بين البلدين، التفت سليمان إلى وزيره الموجود إلى جانبه وتكلّم معه ثمّ التفت الوزير إلى السفير النمساوي وقال له:

كيف تجسر على الكلام عن قوّة سيدك هنا بحضور السلطان، الذي يودّ أمراء أوروبا الآخرون أن يشملهم بحمايته ؟[21]

فأجاب السفير هوبوردانسكي بغباء:

ومَن هؤلاء الأمراء ؟ – فقيل له ملك فرنسا، بولندا، البابا، دوق البندقية....[22]

ولعلّ هذه الأجوبة غير المدروسة والتعامل العفوي جعل كل جهود هذه السفارة النمساوية تذهب أدراج الرياح. في النهاية اتضحت المطالب الأساسية وهي: أن يكون عرش المجر لسيدهم فرديناند، مع استعادة كل الأماكن التي استولى عليها السلطان سليمان في المجر.[23]

فأجاب إبراهيم باشا ساخراً:

يدهشني أنّه لا يطالب باستانبول أيضاً.

---

[21] **لامب، هاورد، سليمان القانوني، مرجع سابق، ص134.**

[22] **لامب، هاورلد، المرجع نفسه، ص135.**

[23] **Jenkins, H. IBRAHIM Pasha, Ibid, p.63.**

وهكذا تحول الحوار السيء إلى أزمة حقيقية، وقبل خروج السفير النمساوي قال سليمان بغضب:

سيدك لم تربطه بنا أيّ علاقات ودية لكنّه سيفعل ذلك قريباً، يمكنك أن تخبره أنني سأذهب إليه بكل قوّتي وأنني سأعطيه بنفسي ما يطلبه فأخبره أن يستعد لزيارتنا. ردّ السفراء أنّ سيدهم سوف يسحره رؤية السلطان يصل كصديق، لكنه سيعرف أيضاً كيف يستقبله كعدو. وبعد طردهم وفشل مساعيهم الدبلوماسية تمّ سجنهم لمدة سنة تقريباً،[24] وبدأ السلطان يستعد لخوض حرب ضد آل هابسبورغ.[25]

لم تتغير الدبلوماسية العثمانية في القرن 16 التي لطالما كانت تبثّ الرهبة في نفوس السفراء الأجانب بشكل عام وسفراء العدو بشكل خاص، بل ازدادت حدّة وقسوة بعد فشل حصار فيينا في 10 أيار 1529 وعلى أيّة حال كان لهذا العمل العسكري الضخم الأثر الكبير في ترسيخ القوة العالمية للدولة العثمانية.

بمعنى أنّ السلطان وحاشيته أثبتوا من خلال مراسلاتهم مع ملوك أوروبا أنّهم مازالوا بنفس القوة والثبات والعظمة، ويتضح ذلك من خلال إحدى رسائل الصدر الأعظم إبراهيم باشا إلى فيينا يبيّن فيها أن هدف هذه الحملة ليس احتلال فيينا إنّما مواجهة فرديناند وأخوه شارل الخامس في ساحة القتال، لكن السلطان لم يجد هذا الجيش الأوروبي الخائف من العثمانيين الأشداء حسب تفسيره.[26]

إنّ دبلوماسية القانوني – البعيدة عن المرونة – قبل وبعد حصار فيينا تخلو من أيّ انكسار أو حتى نقطة ضعف يمكن إظهارها لسفراء أوروبا. لقد أرسل السلطان سليمان رسالة لاذعة إلى شارل الخامس تحطّ من شأنه وتستهزء به، ومن الواضح أنّ مشاعر الغضب والانتقام قد سيطرت على خطاباته الدبلوماسية، فيذكر فيها:

" طوال الوقت وأنتَ تدّعي الشجاعة وتفاخر بها، ولكن ما من عمل أو مجد يدلّ عليك أو على شقيقك، لذا فأمثالك عار على الحكم وعلى الرجولة، ألا تشعر بالخجل أمام جنودك بل أمام زوجتك ؟ فحتّى النساء يملكن من الجسارة ما لا تملكها أنت. إنّ الشجاعة ليست بتحيّن فرصة غياب الأسد عن الميدان والمكر كما تمكر الثعالب، فإن أبيت الخروج للميدان والقتال هذه المرة أيضاً، فاحمل الإبرة ومغزل النساء، وإيّاك أن تغزل تاج السلطة بيدك أو أن تتحدث عن البطولة".[27]

واصل فرديناند إرسال عدّة سفارات وكانت في عام 1530 ، 1532 ، 1533 السفارة الأولى بعد حملة فيينا في تشرين الأول 1530 كانت فاشلة. فقد تكررت المطالب السابقة من أجل الوصول إلى هدنة بين الطرفين، أصرّت السفارة على أن يكون عرش المجر لملكهم فرديناند والاعتراف به، ودفع جزية سنوية للدولة العثمانية.

لكن السلطان رفض من جديد، لأنّ الأرض التي يطالبون بها تعد حقّ شرعي للسلطنة كونها احتلت بقوّة السيف. لم يتغير الوضع الدبلوماسي بين الطرفين وخاصة مع تشبث كل طرف بموقفه حتى جاء عام 1533 وانشغل السلطان

---

[24] **Hammer, J. Histoire de l'Empire Ottoman, Ibid, p.111.**

[25] **آل هابسبورغ: أحد أهم العائلات المالكة في أوروبا من أصل ألماني، تشتهر كونها مصدر الأباطرة المنتخبين رسمياً لحكم الامبراطورية الرومانية المقدسة بين 1438 – 1740. ar.m.wikipedia.org/wiki/ آخر تعديل بتاريخ 30 كانون الثاني 2023 التوقيت 19:37.**

[26] **شيمشيرغيل، أحمد، القانوني سلطان العالم، مرجع سابق، ص87.**

[27] **شيمشيرغيل، أحمد، القانوني سلطان العالم، مرجع سابق، ص104.**

بحرب ضد الصفويين في الشرق، إذ عقدت معاهدة سلام عثمانية – نمساوية فرضت التبعية على فرديناند ودفع جزية مقدارها ثلاثون ألف قطعة ذهبية، وعدم التعرض للأراضي التي يحكمها زابوليا .[28]

بعد أن مضت فترة الهدنة مع الدولة العثمانية، عاد فرديناند وبإلحاح إلى التواصل مع الباب العالي لتحقيق طموحاته السياسية، وقد اختار المؤامرات، للوصول إلى مبتغاه هذه المرة. لذلك اعتمد على السفير لاشكي الذي أصبح تحت أمره وأشعل الفتنة في القصر الهمايوني، محاولاً قلب الأمور ضد زابوليا، ففي عام 1538 قام بفضح اتفاقية سرّيّة كانت قد عقدت بين الأخير وملك النمسا، تحوي على تعهد من زابوليا بإعطاء كل ممتلكاته إلى فرديناند بعد وفاته حتّى لو كان لديه ابن وريث، ولم يكتفِ بذلك إذ نشر إشاعة بأنّ ابن زابوليا هو ابن غير شرعي، فبادر رجال السلطنة للتّحقق من تلك الإشاعة – بعد أن كان زابوليا قد مات – و قد أرضعت الملكة إيزابيلا[29] ابنها أمام مبعوث أرسله السلطان سليمان كي تؤكّد أنّ ابنها الرضيع هو الوريث الحقيقي، كما أنّها حصلت على وعد بحماية عرش ابنها من كل الطامعين والأعداء مستقبلاً فكان السلطان سليمان حليفها الأقوى.[30]

لم تنجح مؤامرات السفير لاشكي بل تعرض لتوبيخ من وزراء الدولة العثمانية، فكيف له أن يكون خائناً لسيده الأول (زابوليا)؟ وكيف يخدم النمسا وهو بولندي الأصل ؟[31]

انتهز السلطان سليمان الفرصة و وبّخه بشدّة أثناء حضوره في قاعة الديوان عام 1540، وكان السلطان غاضباً من خداع وحيل فرديناند فقد كشف خطته من عقد هدنة التي تسمح له بتجهيز جيشه ليخوض أعمال عسكرية ضد الدولة العثمانية فيما بعد، فأسمع السلطان السفير لاشكي هذه الكلمات:

"عندما أتيتنا كرسول العام الماضي، أخبرتك بأنّ المجر هي ملك لي، وربما أبلغت ذلك لسيدك. فلماذا يرسل جيشاً إلى أراضي دولتي؟ ولماذا أنت هنا؟ أين شرفك ؟" [32] وقد استمرَّ السلطان بالصراخ على السفير لاشكي حتى عند مغادرته القاعة، إذ كانت الأجواء انفعالية جداً.

في النهاية فكّر السلطان وحاشيته بخوض حرب جديدة ضد فرديناند أمّا السفير لاشكي فكان مصيره السجن.[33]

جرت تحرّكات عسكرية بين الطرفين العثماني – النمساوي عام 1541، خاصة في بودا التي وقعت تحت السيطرة العثمانية، أما سياسة فرديناند المخادعة فكانت تعتمد على الانسحاب عند شعوره بالضعف في ساحة القتال والميل إلى إرسال السفارات إلى استانبول.

وفي فترة الهدنة وبعد فشل مساعي سفراؤه يعود للأعمال العسكرية. لم تتغّير مطالبه في كل سفارة كان يرسلها بل إنّه عرض على السلطان زيادة الجزية إلى 100 ألف قطعة ذهبية لكن السلطان سليمان رفض.[34]

---

[28] شيمشيرغيل، أحمد، المرجع نفسه، ص99 ، 117.

[29] إيزابيلا ياغيلون: (1519 – 1559) ملكة مجرية، ولدت في كراكوف، وتوفيت عن عمر يناهز 40 عاماً بسبب المرض، تزوجت من زابوليا عام 1539، آخر تعديل بتاريخ 18 تشرين الأول 2020 التوقيت 05:06 wiki/org.wikipedia.m./ar.

[30] شيمشيرغيل، أحمد، القانوني سلطان العالم، مرجع سابق، ص193,194.

[31] Hammer, J. Histoire de L'Empire ottman, Ibid, p.325.

[32] أمجان، فريدون، سليمان القانوني سلطان البرّين والبحرين حقائق في ضوء المصادر، ترجمة جمال فاروق، اسطنبول، 2013، ص243.

[33] Hammer, J. Histoire de L'Empire Ottman, p.326.

[34] شيمشيرغيل، أحمد، القانوني سلطان العالم، مرجع سابق، ص208.

وردّ عليه الوزير رستم باشا[35] في السفارة التي أرسلها في تشرين الأوّل عام 1542 م:

" إنّ الصدر الأعظم إبراهيم باشا قد ضغط على فيينا بطرف إصبعه قبل ذلك، وأما أنا فلا أفعل ذلك، بل أقبض عليها بكلتا يديّ ".[36]

لاشك أن قوّة سليمان القانوني العسكرية واتّساع دولته، تحكّمت بشكل الدبلوماسية مع ملك النمسا فرديناند – الذي بقي تابعاً – وحليفه شارل الخامس، وإنّ المعاهدة التي عُقِدَت في 19 حزيران 1547 توضّح ما آلت إليه الأوضاع ونتائج كل السفارات السابقة التي أرسلت إلى استانبول، دبلوماسياً:

– منعت إعطاء لقب "امبراطور" لأيّ حاكم أوروبي خاصة أثناء تداول المراسلات مع الدولة العثمانية حفاظاً على مكانة السلطان العثماني العالميّة.

– كما ألزمت بقيّة الدول في أوروبا كفرنسا والبندقية بالتقيّد بنصّ المعاهدة التي رسّخت حدود الممتلكات العثمانيّة وضرورة الاعتراف بها.

– ورفعت السلطان سليمان إلى مرتبة لا يمكن لأحد مساواته بها.[37]

ثالثاً: مراسلات ملك فرنسا فرانسوا الأول 1536:

تميّزت السفارات الفرنسيّة بقدم حضورها في استانبول، وإنّ هذا القدم – أوائل القرن 16 – نتج عنه علاقات فرنسيّة – عثمانيّة قويّة. لكنها تختلف عن غيرها من السفارات الأوروبيّة التي تَحَدَّد عملها بعقد معاهدات تجاريّة فقط مع العثمانيين.

كانت الصراعات السياسية منذ عام 1525 المحفّز لإرسال الوفود الدبلوماسية وتبادل المراسلات مع السلطان سليمان وفي الوقت نفسه ستؤدّي كل سفارة فرنسيّة دورها في جرّ الدولة العثمانية للتدخل في صراعات حكام أوروبا المسيحية وبالتالي الانفتاح على العالم الغربي أكثر، سواء في التعامل مع الصديق أو العدو.[38]

وقع الملك فرانسوا الأول [39](1515–1547) أسيراً بيد الإمبراطور شارل الخامس، بعد هزيمة الأول في معركة بافيا في 25 شباط 1525، إذ نشب نزاع بينهما سببه الاستحواذ على أراضي إيطاليا الشمالية، وقد تكرّست العداوة حول شؤون الحكم والنفوذ السياسي في أوروبا.[40]

بعد ذلك أصبح موقف فرانسوا ضعيفاً للغاية لأنّ الامبراطور شارل الخامس (حاكم ألمانيا وهولندا وإسبانيا) يحيط بفرنسا من كلّ الجهات ما عدا البحر.[41]

---

[35] رستم باشا: كان وزيراً ثم شغل منصب الصدر الأعظم لفترة طويلة، تميّز بقوة شخصيته وتدبيره لأمور الدولة العثمانية بشكل ناجح. توفي عام 1620. المصري، حسين، معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2004، ص65.

[36] أمجان، فريدون، سليمان القانوني، مرجع سابق، ص258.

[37] الركيبات، كايد، دور الامتيازات التجارية التي منحها السلطان سليمان القانوني لجمهورية البندقية و المملكة الفرنسية في خدمة مصالح الدولة العثمانية (1520–1566)، مجلة جامعة الزيتونة، الأردن، مج1، العدد 1، 2020، ص 145–146–147.

[38] البرزنجي، إيمان، السياسة الخارجية للملك فرانسوا الأول (1515–1547)، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة بغداد، مج 6، العدد1 كانون الثاني، 2024، ص427–428–429.

[39] فرانسو الأول (1494 – 1547) :Francois I ملك فرنسي، شهدت فرنسا في عهده نهضة فنية وازدهار اقتصادي واجتماعي، بذل جهود كبيرة لرعاية بلاده وتقدّمها حضارياً. البعلبكي، منير، معجم أعلام المورد، مرجع سابق، ص317.

[40] مدكور، هاني، العلاقات السياسية والعسكرية بين أوروبا والدولة العثمانية في عصر السلاطين العظام، المجلة العلمية للآداب، جامعة طنطا، العدد 47، 2022، ص17.

و في هذا الوضع الحرج قررت والدته إرسال سفارة إلى استانبول ترجو السلطان فكّ أسر ابنها الموجود بإحدى قلاع مدريد. تمّ إرسال وفد في عام 1526 لكنّه قتل في الطريق – عند البوسنة – على يدّ جواسيس آل هابسبورغ، فأُرسلت سفارة فرنسيّة أخرى مؤلفة من ثلاثة عشر عضواً على رأسها السفير البارع جون فرانجيباني[42] Jean Frangipani.

وقد حمل معه خاتم ياقوت ورسالتين الأولى من فرانسوا يذكر بها ما فعل به عدوّه مع الألقاب الخاصة بسليمان القانوني والثانية من والدته مليئة بالشفقة على حال ابنها تطلب النجدة بالسرعة القصوى، وقد جاء بها:

" لقد تمّ حبس ابني فرانسوا ملك فرنسا من قبل الامبراطور الألماني، وقد تركت خلاص ابني بيد الرحمة التي سيبديها الامبراطور شارل، ولكنه خلافاً لآمالنا المعلقة عليه، فقد أهان ابني وعامله باحتقار.

وها أنا أستعطف جلالتكم يا سلطان السلاطين الذي يشهد العالم برمته على عظمتكم ومجدكم، لكي تظهروا رأفتكم لإنقاذ ابني من أيدي العدو".[43]

تصرّف السفير الفرنسي فرانجيباني بحكمة وذكاء، إذ طلب بوضوح من السلطان سليمان بعيداً عن العاطفة والحزن – الذي تحكّم بالوالدة– دعم ملكه ومحاربة شارل الخامس، فإذا لم يتمّ تحرير فرانسوا فإنّ الأمر سيزداد سوءاً على الجميع.

لأن الإمبراطور شارل الخامس العدّو المشترك للفرنسيين والعثمانيين سيمتلك أراضي فرنسا بكل سهولة ويصبح سيد أوروبا كلها. كان موقف السلطان سليمان إيجابيّاً فقد استقبل السفير فرانجيباني باحترام وغضّ النظر عن عدم حمله للهدايا. واستجاب لطلب السفارة الفرنسية بل إنه بدأ يخطط لشن حملة أوروبية.[44]

من وجهة نظر السلطان إنّ مطالب هذه السفارة تتناسب مع الطموحات العثمانية بالتوغل داخل أوروبا عسكرياً، ومن جهة أخرى فإنّها أثبتت أن استانبول هي ملجأ الملوك والأمراء جميعاً وهذا ما زادها قوّة ومكانة عالمية، أمّا بالنسبة لرسالة السلطان سليمان المرسلة إلى فرانسوا فكانت عبارة عن كلام لا يخلو من عظمة آل عثمان وقدراتهم الخارقة، ومواساة الملك الأسير والتلميح بأنّ الدولة العثمانية على استعداد للوقوف إلى جانب فرنسا.

ذُكرت تفاصيل أخرى شفوية واضحة أكثر كلّف السفير فرانيجاني بنقلها، ولعلّ ذلك جاء حرصاً على سريّة المراسلات وتحسباً لأيّ طريقة يمكن إفشاء الردود والنوايا إلى العلن وإيصالها إلى العدوّ.

لكن تلبية مطالب السفارة الفرنسية ودعم الصداقة بين البلدين كان أمراً مؤكّداً.[45]

جاء نصّ الرسالة كالتالي:

" أنا السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان، إليك يا فرانسوا ملك بلاد فرنسا. لقد أرسلت للالتجاء إلى بابي رسالة بيد خادمك الأمين فرانجيباني. وقد أوضح لي كيف اجتاح العدو بلادك وأنك الآن أسير، وقد طلبت العون لخلاصك وقد وضع كل قولك هذا أمام أقدام عرشي ملجأ العالم. لا يوجد ما يثير الغرابة في اندحار الأباطرة وأسرهم.

---

[41] الصدفي، رزق الله، تاريخ دول الإسلام، ج3، مطبعة الهلال، مصر، 1908، ص116.

[42] جون فرانجيباني :John Frangipani شخصية دبلوماسية فرنسية، عاصر الملك فرانسوا الأول، استطاع بكل ذكاء أن يجعل السلطان سليمان يلبي طلبات السفارة كلها من دون شروط. 59 , Jenkins, H. Ibrahim pasha, Ibid, p.60

[43] شيمشيرغيل، أحمد، القانوني سلطان العالم، مرجع سابق، ص49.

[44] أوزوتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، مج1، ص 296.

[45] أوزوتونا، يلماز، المرجع نفسه، ص297.

لذا تشجّع ولا تكن منهاراً فإن أسلافنا الأمجاد وأجدادنا العظماء – نوّر الله أضرحتهم – لم يتخلوا عن شن الحرب لطرد عدوهم واحتلال بلاده، ونحن أيضاً قد عقبنا طريقهم وقمنا كل مرة بالاستيلاء على المقاطعات والقلاع العظيمة بمنعتها وصعوبة الوصول إليها، ونحن في الليل كما في النهار.

خيلنا مسرجة وسيوفنا مسلولة، وندعو من الله تعالى أن ينصر الحق، أما الباقي فيمكنك الإحاطة به عن طريق الاستفسار من موفدك وسيخبرك... من مقر الامبراطورية في استانبول المحروسة ".[46]

حققت الدبلوماسية الفرنسية نجاحاً باهراً، إذ استطاعت أن تسيّر الأمور لصالح فرانسوا الأول، إضافة إلى إخلاص السلطان سليمان بوعوده ومراسلاته، فقد شنّ حرب على المجر في عام 1526 مما دفع شارل الخامس لعقد معاهدة مدريد في كانون الثاني من العام نفسه، مع فرانسوا الأول وفكّ أسره.[47]

أمّا موقف الأخير فقد تنكّر لمعاهدة مدريد لأنّها ذات شروط مجحفة بحق فرنسا، وكذلك انسحب متراجعاً عن أيّ خطوة تؤدّي إلى تقارب مع العثمانيين، فكيف له أن يتحالف مع قوّة إسلاميّة وهو ملك مسيحي كاثوليكي كان من الواجب عليه قيادة حملة صليبية ضد الدولة العثمانية، وإن تحقيق هذا التحالف سيعرضه لغضب الرأي العام المسيحي.[48]

لم تنحسمْ الأوضاع بل بقيت الصراعات على ما هي عليه، فبادر فرانسوا لإرسال سفارة جديدة إلى استانبول وطبعاً للغاية نفسها وهي تدمير شارل الخامس بمساعدة القوات العثمانية،[49] وفعلاً وصلت السفارة الفرنسية عام 1535.

و قد أُعطيَت تعليمات سرية قبل الانطلاق، وجاءت بها إلى السلطان سليمان، وعرضت عليه خطة حربيّة ممتازة، تتلخص فيما يلي:

1- يقوم خير الدين بربروسا[50] بتهديد سواحل إسبانيا.
2- تغزو القوات العثمانية جنوب إيطاليا بينما تهجم القوات الفرنسية من الشمال بالتعاون بين الطرفين.
3- طلب السفير من السلطان مبلغ مليون قطعة ذهبية للقيام بالتجهيزات العسكرية اللازمة.[51]

قامت السفارة بإغراء السلطان في حال موافقته على الخطة الحربية، إذ ستبادر فرنسا – تحت ستار الصداقة – بإقامة تحالف دائم مع العثمانيين وفق معاهدة رسمية ستشمل الجوانب التجاريّة، كما سلمته رسالة من مَلِكَهم وكان نصّها:

" لقد أغار حاكم إسبانيا على بلادنا وأرجو أن يرسل سلطان الإسلام أسطولاً همايونياً من البحر... وقد تقرر من طرفنا إرسال خمس وأربعين سفينه...".[52]

وقف السلطان حائراً متردداً أمام السفارة الفرنسية الثانية التي تتوسل وترجو منه المساعدة، ذلك أنّ فرانسوا الأول قد بدت منه الخيانة والكذب سابقاً فانعدمت الثقة تجاهه.

---

[46] لامب، هارولد، سليمان القانوني، مرجع سابق، ص119,120.

[47] بون، أنفيانو، سراي السلطان (1604 – 1608)، ترجمة: زيد الرواضية، مشروع كلمة، أبو ظبي، 2014، ص15.

[48] لامب، هارولد، سليمان القانوني، مرجع سابق، ص121.

[49] خليفة، حاجي، تحفة الكبار في أسفار البحار، تح: محمد حرب، دار البشير، القاهرة، 2017، ص123.

[50] خير الدين بربروسا (1470 – 1546) :Barba Rossa أحد قراصنة اليونان، تميز بلحية صهباء، تولى مع أخيه عمليات بحرية واسعة غرب البحر المتوسط لصالح الدولة العثمانية. المصري، حسين، معجم الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص31.

[51] أمجان، فريدون، سليمان القانوني، مرجع سابق، ص269.

[52] باشا، لطفي، تواريخ آل عثمان الوقائع التاريخية للدولة العثمانية حتى عام 1553، ترجمة: محمد عبد العاطي محمد، دار البشير، القاهرة، 2018، ص425.

لقد نجحت هذه السفارة مرّة أخرى في الحصول على موافقة السلطان الذي شده فيها إقامة علاقة وطيدة مع دولة أوروبية وإنعاش الاقتصاد في المنطقة.

و حصل السفير الفرنسي آنذاك على امتياز من الباب العالي بحضور الصدر الأعظم إبراهيم باشا عام 1536 وهذا الامتياز كان بحدّ ذاته انتصاراً دبلوماسياً، لأنّه سيمنح فرنسا النفوذ على غيرها من الدول الأوروبية في البحر المتوسط كما سيعطيها مركزاً ثابتاً في استانبول مستقبلاً.[53]

لم تنقطع المراسلات بين فرانسوا والسلطان سليمان عام 1543 وكانت جميعها تتناول التحركات العسكرية في 24 أيار، 20 تموز، 20 آب من العام نفسه.

في النهاية كان الأسطول العثماني حاضراً حسب الخطط الحربيّة التي تقدمت بها السفارة الفرنسية لكن فرانسوا لم يتصرف كما قال ولم يأخذ مبادرات السلطان على محمل الجدّ، بحجة العامل الديني الذي يمنعه من التحالف مع المسلمين، أمّا خير الدين بربروسا فقد واجه حقيقة الأمر على الساحة العسكرية إذ لم ير أيّ تعاون فرنسي كما أخبره سفراء فرنسا واتضح له أنهم كاذبون ومتلونون وكسالى.[54]

انتهى عمل السفارات على هذا النحو، بعد أن حققت أهدافها باتباع المكر والانسحاب والخداع في كل مرة، ولو بدر الصدق من جانب فرانسوا لصنع تحالف ثنائي قويّ ضد عدوه، أمّا السلطان فلابد أنّه وقع بخسائر كان في غنى عنها، فإن استجابته لمراسلات فرانسوا كانت تستنزف منه التجهيزات والقدرات العسكريّة.

وعلى أيّة حال اختتمت هذه المرحلة من العلاقات الدولية بعقد صلح بين الخصمين (شارل الخامس وفرانسوا) عام 1544 أدّت دوراً في منع التحالف مع القوة العثمانية من جديد.[55]

الاستنتاجات والتوصيات

يُقدّم البحث نمطاً من أنماط الدبلوماسية التي كانت شائعة في القرن 16 ألا و هي (المراسلات و الوفود المؤقتة). و قد تمّ عرض مراسلات ملك النمسا (فرديناند) و ملك فرنسا (فرانسوا الأول) أيضاً في قالب دبلوماسي، محتواه سياسي.

كشفت المراسلات عن طبيعة تفكير الدولة العثمانية آنذاك إذ صوّر كبار رجال السلطان سليمان دولتهم على أنها ذلك الحصن المنيع بمواصفات عالمية، و كانت أغلب مراسلاتهم تحمل صفة هجومية و دفاعية معاً. لاسيما و أنها ترتكز على أسلوب التهديد و تصغير و تحقير العدو و هذا ما نراه اليوم لدى بعض الدول الكبرى على الساحة السياسية. من زاوية أخرى فإنّ المراسلات العثمانية تحديداً كانت تبثّ الرعب بقلوب حكام أوروبا، بمعنى آخر أنها تهزّ كيان العدو معنوياً، و هذا بدوره يمثّل نقطة ضعف تستطيع الدول القوية أن تستغله أحسن استغلال.

يتطلب العمل الدبلوماسي الصدق بالدرجة الأولى للوصول إلى الأهداف التي ترضي الأطراف، لكن هذا عكس ما قام به ملك فرنسا فرانسوا الأول إذ تميزت مراسلاته بالكذب و المبالغة، و عدم احترام المواثيق و تعزيز التعاون الدولي الحقيقي، مما أغرق السلطان بأوهام وقع ضحيتها و تسبب له بخسائر. و بالمحصلة إنّ أيّ تعامل دولي قائم على هذا الأساس نهايته الفشل.

---

[53] لامب، هارولد، سليمان القانوني، مرجع سابق، ص199.

[54] أمجان، فريدون، سليمان القانوني، مرجع سابق، ص272,273.

[55] طقوش، محمد، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، بيروت، ط3، 2013، ص202.

إن مضمون المراسلات النمساوية أثبتت الأطماع و الخطط السياسية، و كان هذا واضحاً في كل السفارات التي جاءت إلى استانبول. و الجدير بالذكر أن المطالب المكررة للملك فرديناند تدل على عناد شخصيته، و عدم رغبته في التنازل، و هنا يبرز تنافس من نوع آخر على صعيد المراسلات الدبلوماسية بين الأخير و خصمه زابوليا. على أية حال لم ينجح سفراء النمسا في عملهم بسبب افتقارهم للحنكة و الدهاء بالإضافة إلى سوء فهمهم لعظمة الدولة العثمانية و التماشي مع هذا المفهوم آنذاك.

List of sources and references:

Arabic sources:

1- Al Sadafeh, R. History of the Islamic countries, VOL3, Al Hilal press, Egypt, 1908.
2- Basha, L. Twarikh All- Ottoman the historical realities of the Ottoman state until year 1553, Translated by Mohammad abd al atiy mohammad, Dar Al Basher, Cairo, 2018.
3- Khaleffah, H. Tohfat Al Kibar fi Asfar Al Behar, edited by Mohammad Harb, Dar Al Basher, Cairo, 2017.

Arabic References:

1- Muhammad, K. introduction to diplomacy- The legal and institutional Framework for diplomatic activity, Moulay Taher Saida University, Algeria, 2020.
2- Takoush, M. The History of Ottomans from the establishment of the state until the coup against the caliphate, Dar Al Nafa'as, Beirut, P3, 2013.

Translated References:

1- Amjan, F. Suleiman Al Qanooni sultan of Al-Bareen and Bahrain facts in light of the sources, translated by Jamal Farouk, Istanbul, 2013.
2- Auzotona, Y. History of the Ottoman Empire, translated by Adnan Slman, Vol 1, Faisal finance corporation publications, Istanbul, 1988.
3- Black, J. A History of diplomacy, translated by Ahmad Salem, Kalemah project, Abu Dhabi, 2013.
4- Bon, O. Seraph (1604 – 1608), translated by Zaid alrwadiah, Kalemah project, Abu Dhabi, 2014.
5- Lamb, H. Suleiman Al Qanooni sultan Al Sharq al azeem, translated by Shoukry Nadem, Al Nibras publishing company, Cairo, 1951.
6- Shemshergl, A. History of Bani Othman - Al Qanooni sultan of the world, translated by Mohtab Mohammad, Thaqafah for publication, UAE, 2017.

The Journals:

1- Al Brzanji, I, The foreign policy of king Francis1 (1515-1547), journal of humanities and social sciences, Baghdad university, VOL 6, issue 1 January, 2024.
2- Al Rkaybat, K. The role of trad concessions granted by sultan Sulaiman the magnificent for the republic of Venice and the kingdom of France in the service of the Interests of the Ottoman Empire during the period (1520-1566), Zaytouna university journal, Jordan, VOL 1, issue 1, 2020.
3- Kaddor, B. The Role of diplomacy in strengthening international relation, Tishreen University journal, Syria, VOL 42, issue 6, 2020.
4- Madkour, H. The political and economic relations between Europe and the Ottoman Empire in the great Sultans age, the scientific journal for AL-Adab, University of Tantah, number 47, 2022 .

Master's theses:

1- Al zabin, H. The legal basis for granting diplomatic immunities and privileges, master thesis, Middle East university, Jordan.

2- Najem, J. Rulings of messengers and ambassadors in Islamic jurisprudence, master thesis, Al Najah National university, Palestine.

Encyclopedias:

1- Al Baalabaki, M. Mojam A'aalam al moured, Dar Al-Ilm lil-malayen, Beirut, 1992.

2- Al massry, H. Mojam the Ottoman State, Dar al-thaqafah for publication, Cairo, 2004.

3- Saban, S. Al-mojam Al mousoui lil moustalahat al-Othmanyia, Al malek Fahed's national library, Riyadh, 2000.

Foreign sources:

1- Hammer ,J, Histoire de l'Empire Ottoman 1520-1547, vol 1, Paris.

2- Jenkins, H. IBRAHIM Pasha-Grand vizir of Suleiman the Magnificent, Columbia university, New York, 1911.

3- Schefer, c. Mémoire Historique sur l'Ambassade de France A constantinople par le Marquis De Bonnac, Ernest Leroux, Paris,1893.

Web Sites:

-WWW. Wikipedia. Org/wiki/.